الباب الرابع
فى بيان حكم الغيبة والنميمة والفرق بينهما

كل منهما حرام بالإجماع ، وإنما الخلاف فى الغيبة هل هى كبيرة أو صغيرة ؟

ونقل الإجماع على أنها كبيرة ، وقال آخرون : محله إن كانت فى طلبة العلم ، وحملة القرآن ، وإلا كانت صغيرة .

وأما النميمة فإنها كبيرة ، وهى نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم ، وقد تطلق على أعم من ذلك ، وهو كشف ما يكره كشفه ، سواء كراهة المنقول عنه ، أو إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول ، أو بالكتب ، أو بالرمز ، أو بالإيماء ، وسواء كان المنقول من الأفعال ، أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيبا أو نقصا فى المنقول عنه ، أو لم يكن .

نعم ما فى حكايته فائدة ، أو رفع لمفسدة ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه ، بخلاف ما لو رأى إنساناً يخفى مالاً لنفسه ، فذكره فهو غيبة ، وإفشاء للسر .

فإن كان ما يَنمُّ به نقصا فى المحكى عنه فهو غيبة ونميمة ، هكذا ذكره الغزالى وكلام أئمتنا لا يساعده ، بل الحاصل من كلامهم أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً ، فكل نميمة غيبة ، وليس كل غيبة نميمة .

فإن الإنسان قد يذكر عن غيره ما يكرهه ، ولا إفساد فيه ، بينه وبين أحد ، وهذا غيبة فقط ، وقد يذكر عن غيره ما يكرهه ، وفيه إفساد ، وهذا غيبة ونميمة ، وورد فى تحريم النميمة أحاديث تقدم بعضها ، ولا بأس بذكرها أو غيرها ههنا .

قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« **لا يدخل الجنة نمام** »[١١٧] متفق عليه .

(حكم من أشاع الفسق عن أهل الصلاح)

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« **من أشاع عن مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق ، شانه الله تعالى بها فى النار يوم القيامة** »[١١٨] رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وفيه متروك .

وقال صلىَ الله تعالى عليه وآله وسلم :

« **أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا ، كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة فى النار** »[١١٩] رواه ابن أبى الدنيا موقوفا ، والطبرانى بلفظ آخر مرفوعاً .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« **من كان له وجهان فى الدنيا ، كان له لسانان من نار يوم القيامة** »[١٢٠] رواه البخارى فى تاريخه ، وأبو داود بسند حسن .

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« **تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين** »[١٢١] متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس .

(١١٧) البخارى (٢١/٨) ، مسلم (١١٢/٢) ، أحمد (٣٨٩/٥) ، (٣٩١/٥ ، ٣٩٦) .

(١١٨) ابن أبى الدنيا (٢٥٦) ، قال العراقى (١٥١/٣) فى الإحياء : ابن أبى الدنيا فى الصمت ، والطبرانى فى مكارم الأخلاق ، وفيه عبدالله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث .

(١١٩) ابن أبى الدنيا (٢٥٧) فى الصمت ، موقوفاً على أبى الدرداء .

(١٢٠) البخارى (١٣١٠) فى الأدب المفرد ، أبوداود (٤٨٥٢) ، الدارمى (٣١٤/٢) ، ابن حبان (١٩٧٩) ، صحيح الجامع (٦٣٧٢) وقال : صحيح .

(١٢١) البخارى (٢١٧/٤) ، (٢١/٨) ، مسلم (١٥٦/١٦) ، أبو داود (٤٨٥) ، أحمد (٢٤٥/٢) ، (٣٠٧/٢) ، الترمذى (٢٠٩٤) .

خاتمـــة

فى بيان العلاج الذى يمتنع به اللسان من الغيبة وغيرها

أعلم أن لها علاجين : **أحدهما** : وهو أن يعلم الإنسان أنه متعرض لسخط الله تعالى ومقته ، وهو أنه يعيبه كما دلت عليه الأخبار السابقة .

ويعلم أنها تحبط حسناته ، فإن حسناته تؤخذ يوم القيامة لمن اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه ، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه ، فربما ترجح كفة سيئاته فيدخل النار ، وقد يحصل ذلك الرجل بإذهاب حسنة واحدة من حسناته ، أو يوضع سيئة واحدة من سيئات خصمه ، وعلى تقدير ألا يحصل هذا الرجحان ، فكفى بنقص الحسنات عقاباً مع المخاصمة والمطالبة ، والسؤال والجواب ، والحساب .

وقد نقل عن الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : بلغنى أنك تغتابنى . فقال : ما بلغ من قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى .

ومما يكفه عن الغيبة أيضا إيمانه بتلك الأخبار التى قدمناها فيها ، فإذا تدبرها حق التدبر لم ينطق لسانه بغيبة .

وأن يتدبر فى نفسه وعيوبها ، وتقصيرها بذلك ، وبصلاحها عن عيوب الناس ، والكلام فيهم ، وعلى من به عيب أن يستحيي من الله تعالى الذى لا يخفى عليه خافية .

حيث يرى نفسه ويتذكر عيوب غيره ، بل ينبغى له أن يلتمس له عذراً ، ومخرجا ، ويعلم أن عجزه عن تطهير نفسه من ذلك العيب كعجزه هو عن تطهير

نفسه من عيوبها ، فإن كان الذم له بأمر خِلقى كان ذمًّا للخالق ، فإن ذم الصنعة يستلزم ذم صانعها .

ثانيهما : على التفصيل بأن ينظر فى السبب الباعث له على الغيبة ، فإن علاج العلة إنما يتم بقطع سببها المستمدة هى منه ، ومن جملة أسبابها : الغضب .

فيقول : إن أمضيت غضبى عليه فلعل الله سبحانه يمضى غضبه علىَّ بسبب الغيبة ، إذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه ، واستخففت بزجره .

ومنها : موافقتك للغير ، وعلاجها : أن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه برضا المخلوقين ، فكيف ترضى لنفسك أن تُوَقِّر عليك ، وتُحَقِّر مولاك ، بترك رضائه لرضائهم ؟ ! ، وعلى تقدير أن غضبك لله فهو لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء لغير ضرورة ، بل ينبغى أن تغضب على من اغتابه ، فإنهم عصوا ربك بذنب أفحش الذنوب ، وهو الغيبة .

ومنها : تنزيه النفس بنسبة الخيانة إلى الغير ، وعلاجه أن التعرض لمقت الله أشد من التعرض لمقت الخلق ، وأنت بالغيبة قد تعرضت لسخط الله تعالى يقيناً ، ولا تدرى هل تخلص من سخط الناس ، أو لا تخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلل فى الآخرة ، وتخسر حسناتك بالحقيقة ، وتحصل ذم الله تعالى حالاً ، وتنتظر رفع ذم الخلق فى المستقبل ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

ومنها : قصد المباحات ، وتزكية النفس بزيادة الفضل ، بأن تقدح فى غيرك . وعلاج ذلك أن تعلم أنك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى ، إن كان لك فضل ، وأنت من اعتقاد الناس فضلك لست على يقين ، وعلى تقدير أنهم يعتقدونك ، فربما نقص اعتقادهم فيك أو زال بالكلية ، إذا عرفوك بثلب

أعراض الناس ، فأنت بائع ما عند الله يقينا ، بما عند الناس وهماً ، ولو اعتقدوا فضلك لم يغنوا عنك من الله شيئا ، على أن قلوبهم بيد الله فربما ألقى فيها بغضك كذلك ، والإعراض عنك ، فتدبر دقائق الأمور ، ولا تغتر بظواهرها .

ومنها : الحسد ، وهو جمع بين عذابين ؛ لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، فكنت معذباً بالحسد ، فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاباً فى الآخرة ، فجمعت بين خسران الدنيا والآخرة ، وكنت فى الحقيقة صديقاً للحسود ، وعدوّاً لنفسك ، فإنك أضفت إليه حسناتك ، وتحملت سيئاته ، مع أنه لا يضره حسدك ، وغيبتك ، بل ربما كان سبباً لانتشار فضله .

ومنها : الاستهزاء ، وعلاجه أن تعلم أنك متى أخزيت غيرك عند الناس ، كنت مخزياً لنفسك عند الله وملائكته ورسله فخسارتك وخزيك أقطع وأشد .

ومنها : أن تقصد بذلك رحمتك له .

ومنها : تعجبك ، وعلاجه بأنه ينبغى لك أن تتعجب من نفسك ، كيف أهلكت دينك بدين غيرك ، أو بدنياه ، فأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يهتك الله سترك ؛ كما هتك التعجب ستر أخيك .

إذا علمت تلك الأسباب وعلاجها ، واستعملت هذا الدواء الذى وصفته لك ، سلمت إن شاء الله تعالى من ضرر الغيبة ، وكنت ممن اشتغل بعيوبه عن عيوب الناس ، وصان لسانه عن أن ينطق إلا بخير ، ففاز بخيرى الدنيا والآخرة .

وفقنا الله تعالى لسلوك هذا الطريق الأقوم ، وختم لنا بالحسنى ، وأجارنا من كل فتنة ومحنة ، إلى أن نلقاه ، وهو عنا راض ، من غير سابقة عذاب ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .